الفصل الخامس

الفسطاط.. كما كانت

obeikandl.com

الفسطاط .. كما كانت

كانت الفسطاط منقسمة إلى قسمين . قبلى وبحرى ويقال لهما عمل فوق وعمل أسفل . فالقبلى (عمل فوق) له طرفان : غربى وشرقى . فالغربى من شاطئ النيل فى الجهة القبلية وأنت مار فى الشرف المعروف بالرصد (جبل أثر النبى والطواحين) إلى القرافة الكبرى (شرقى الفسطاط) والشرقى من القرافة الكبرى إلى العسكر ـ والبحرى عمل أسفل ما عدا ذلك إلى حد المدينة الشمالى .

بدأ عمرو بن العاص ببناء المسجد وداره الكبرى وأمامها داره الصغرى . ثم اختطت القبائل بعد ذلك . وكانت خطط الفسطاط كما يلى :

خطة أهل الراية

أهل الراية هم جماعة من قريش والأنصار وخزاعة وغفار ومزينة وأشرس وجهينة وثقيف ودوس وعبسى بن بغيض وجرش بنى كنانة وليث بن بكر . وسموا أهل الراية ونسبت الخطة إليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فكر كل بطن أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته ، فجعل لهم عمرو بن العاص رايه لم ينسبها إلى أحد ، وقال وقوفكم تحتها . فكانت لهم كالنسب الجامع ،

وكان ديوانهم عليها . واجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم .

وقد ابتدؤا بهذه الخطة من المصف الذى كانوا عليه فى حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذى يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطتهم إلى حمام الفار بسويقة المغاربة من خطة عمر بن العاص وشرعوا إلى باب المسجد مسجد عمرو المعروف بباب الوراقين ثم يسلك إلى حمام شمول، وهذه الخطة من أعظم الخطط وأوسعها ، وفيها زقاق القناديل وكان جنوب شرق جامع عمرو .

*** خطة مهرة :**

وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير من قبائل اليمن . إختطت مهرة قبلى خطة الراية (شرقى جامع عمرو) واختطت أيضا على سفح جبل يشكر مما يلى الخندق إلى شرقى العسكر إلى جنان بنى مسكين . وكانت خطتهم الأولى حوزا لهم يربطون فيها خيلهم عند صلاتهم فى مسجد عمرو يوم الجمعة ، ثم بنوا فيها مساكنهم ، وتركوا منازلهم بيشكر .

*** خطة تجيب**

وهم بنى عدى وسعد بن الأشرس بن شبيب بن الأشرس بن كندة . فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تجيب وتجيب اسم أمهما عرفت القبيلة بها .

وهذه الخطة تلى خطة مهرة وفيها درب الممصوصة آخره حائط شرقى من حصن بابليون .

* خطط لخم

وهى ثلاث : الأولى بنو لخم بن عدى بن مرة بن أددومن خالطهم من جذام ، ابتدأت من نهاية خطة أهل الراية وأصعدت ذات الشمال (جهة الغرب) . وفى هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط بين لخم والراية .

والثانية بنو عبد ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة ابن لخم ، وأولها شمال شرق الكنيسة المعروفة بميكائيل التى تقع بالقرب من خليج بنى وائل . وظلت هذه الكنيسة موجودة إلى زمن المقريزى .

والثالثة . خطة بنوراشدة بن أدب بن جزيلة بن لخم ، وهى متاخمة للخطة التى قبلها . وفى هذه الخطة جامع راشدة (اندثر) وجنان كهمس بن معمر وهو المشهور بالمعشوق . وللخم مواضع أخرى بالفسطاط فى خطط اللفيف والحمراء .

* خطط اللفيف

سموا بذلك لالتفاف بعضهم ببعض ، وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية لقتال المسلمين ، فبعث عمرو بن جمالة الأزوى ليأتيه بالخبر فمضى ، وأسرعت هذه القبائل التى تدعى باللفيف ، وتعاهدوا على اللحاق به ، واستأذنوا عمرو بن العاص فى ذلك فأذن لهم وهم جمع كبير ، فلما رآهم عمرو بن جمالة استكثرهم وقال تا الله ما رأيت قوماً قد سدوا الأفق مثلكم وأنكم لكما قال الله تعالى « فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » .

فسموا اللفيف من يومئذ ـ وسألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم

خطة ، فكانوا مجتمعين فى المنزل متفرقين فى الديوان ، اذ انضم كل بطن منهم إلى بنى أبيه .

وكان عامتهم من الأزد من الحجر ومن غسان وشجاعة والتفت بهم نفر من جذام ولخم والزحاف وتنوخ من قضاعة وهذه الخطة أولها مما يلى الراية سالكا ذات الشمال (جهة الغرب) إلى القرب من سوق وردان .

* خطة يحصب

حى من اليمن إذا نسبت إليهم قلت يحصبى مثل ثعلبى ، وهم بنو يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث بن حمير . وموضعها كيمان ، وهى تتصل بالشرف الذى يعرف بالرصد .

* خطة بنى وائل

وهو وائل بن زيد مناة بن أقصى بن إيامس ابن حرام بن جذام بن عدى ، وهى من السفح المعروف بالرصد إلى خطة خولان .

* خطة القبض

وهم بنو القبض بن مرثد ، وهى بجانب خطة بنى وائل نحو بركة الحبش ، وكان سبب نزول بنى وائل وبنى عبد ربة وراشده والفارسيين الفسطاط ، أنهم كانوا فى طوالع جيش عمرو بن العاص فنزلوا فى مقدمة جيشه وحازوا هذه المواضع قبل فتح مصر .

* خطة المعافر

وهم بنو المعافر بن يعفر بن مرة بن أدد . وهى من الرصد إلى سقاية أحمد بن طولون . وهى القناطر التى تطل على عفصة وتفصل بين

القرافتين ، والقناطر للمعافر ولهم إلى مصلى خولان وإلى الكوم المشرف على المصلى .

*** خطة السلف بن سعد**

وكانت فيما بين الكوم المطل على تربة القاضى بكار وبين المعافر .

*** خطة وعلان**

وهم بنو وعلان بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذحج . إختطت وعلان من زقاق الصنم المعروف بسرية فرعون . وأوله باب السوق الكبير ، واختطت أيضا يخولان ، ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد المعروف بالدينورى ، وأسندت إلى خولان ، وأصبحت هذه الخطة فى زمن ابن دقماق كيمان تطل على قبر القاضى بكار .

*** خطط خولان**

وهم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب وخولان قبيلة يمنية .

*** خطة مذحج**

وهم بنو مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن عبدالله . وقيل مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان . وسموا مذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج .

*** خطة رعين**

وهم ينور عين بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير . وخطتهم جنوب خطة مذحج .

* خطة بنى الكلاع

وهو الكلاع بن شرحبيل بن أسعد بن حمير . وهذه الخطة متصلة بخطة رعين إلى الشمال من مسجد الأقدام .

* خطة الصدف

وهم بطن من كندة ينسبون فى حضر موت إلى الصدفى ، وهم بنو مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ، وقيل بنو مالك بن مرقع بن كندة ، وإنما سمى الصدف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم وكانوا قد أجمعوا على ردمه فصدف عنهم إلى حضر موت فسمى الصدف ، وقيل انما سمى الصدف لأنه كان رجلاً شجاعاً لا يذ عن لأحد من العرب فبعث إليه بعض ملوك غسان ليقدم به عليه ، فعدا على الرسول فقتله وخرج هارباً ، فبعث إليه الملك رجلاً فى خيل عظيمة فكلما جاء حيا من العرب سأل عن الصدف فيقولون صدف عنا مالك ، وما رأينا له وجهاً فسمى الصدف من يومئذ . ثم لحق بكنده فنزل فيهم وعطائهم فى الديوان مع كندة .

* خطة سبأ

وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سبأ . وسبأ اسم رجل ، ولدعامة قبائل اليمن ، وهو ابن يشجب بن يعرف بن قحطان .

* خطة الرجبة

قال ابن دقماق : والذى أعرف الرجبة هو شىء تعمد به النخلة ، وهو الرجبة بن زرعه بن كعب .

obeikandl.com

* خطط الفارسيين

وهم قوم ممن حضر فتح مصر من الفارسيين ، وكانوا بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن ، أسلموا فى الشام ورغبوا فى الجهاد ، فنفروا مع عمرو بن العاص ، وأخذوا خطة فى سفح الجبل الذى يقال له جبل باب البون . قال المقريزى وهذا الجبل اليوم شرقى من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالأرض الصفراء وهى من جملة العسكر .

* خطط أهل الظاهر

وأول هذه الخطة من شمال شرق خطة لخم ، وتتصل بموضع العسكر . ومن هذه الخطة سويقة العراقيين ، وعرفت بذلك لأن زياداً لماولاه معاوية بن أبى سفيان البصرة غرب جماعة من الأزد إلى مصر ، وكان واليها آنذاك مسلمة بن مخلد فأسكنهم بجوار خطط أهل الظاهر .

وسميت هذه الخطط بالظاهر لأن القبائل التى نزلته كانت بالإسكندرية ثم رجعت بعد رجوع عمرو ، وبعد أن اختطت القبائل بالفسطاط ، فخاصمت عمرو ، وأقترح عليهم معاويه بن حديج ، أن يختطوا ظاهر خطط الفسطاط ، أى خارج الخطط ، وكانت القبائل التى نزلت الظاهر من العتقاء ، وهم جماعة من القبائل كانوا يقطعون الطريق على من يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعث لهم الرسول بالسرايا فأتت بهم أسرى ، فأعتقهم الرسول ، فقيل لهم العتقاء ، وديوانهم مع أهل الراية ، وفيهم طوائف من الأزد وفهم .

* خطة غافق

والغفق هو الهجوم على الشىء فجأة . وهم منسوبون إلى غافق بن

الحـارث بن عك . وهذه الخطة تلى خطة لخم إلى خطة الظاهر بجـوار درب الأعلام .

* خطط الحمراوات

وهى ثلاث : دنيا ووسطى وقصوى وسميت بذلك لنزول الروم بها . وهم حمر الألوان ، وكانت الحمراء على ثلاثة بنونيه وروبيل والأزرق ، وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص إلى مصر من عجم الشام ممن كان رغب فى الإسلام من قبل اليرموك ومن أهل قيسارية .

فالحمراء الدنيا بها خطة بلى (بفتح الباء وتشديد اللام) وخطة ثراد من الأزد وخطة فهم بن عمرو ومن قيس بن عيلان وخطة بنى بحر بن سوادة من الأزد .

والحمراء الوسطى بها خطة بنى نبه ، وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل . وخطة هذيل بن مدركة . وخطة بنى سلامان من الأزد. وخطة عدوان .

والحمراء القصوى : وهى خطة بنى الأزرق من الروم ، حضر الفتح منهم أربعمائة رجل ، وخطة بنى روبيل ، وكان يهوديا فأسلم . حضر الفتح منهم ألف رجل . وخطة بنى يشكر ابن جزيلة ، وكانت منازل يشكر مفرقة فى الجبل فاندثرت حتى جاءت جيوش بنى العباس فعمروها ، وكانت فى زمن ابن دقماق مخربة .

قال ابن المتوج الحمراوات ثلاث أولى ووسطى وقصوى . فأما الأولى فتجمع جابر الأوز وعقبة العداسين وسوق وردان وخطة الزبير إلى

نقاشى البلاط طولا وعرضا على قدر ذلك . وأما الوسطى فمن درب نقاشى البلاط إلى درب معانى طولا وعرضا على قدره .

وأما القصوى فمن درب معانى إلى القناطر الظاهرية يعنى قناطر السباع وهى حد ولاية مصر من القاهرة [١] .

ونود أن نلمح هنا إلى أن الخطط فى الفسطاط توازى الأحياء فى المدن اليوم ، ويربط بين هذه الخطط شبكة متنوعة من الطرق نستطيع أن نعرف بها على النحو التالى :

*** الحارات** [٢] .

فى كلام ابن دقماق نجد خلطاً بين مفهوم الحارة والخطة ، فحارة الوسميين يقول هذا الخط قريب من باب القنطرة وحارة بنى الليثى يذكر أنها من أعمر أخطاط مصر ، وسميت بعض الحارات فى الفسطاط بجنسية سكانها كحارة الهنود ، أوحارة تجمع أناس متفرقين كحارة الغربا ، وكان يوجد بالحارات مرافق عامة كحارة بنى اليزيدى التى كان يوجد بها قاعة ابن اليزيدى المرسومة لعمل الأفراح وبها المصنع أى الصهريج المرسوم أى المخصص لخزن ماء السبيل [٣] .

---

(١) انظر ما كتبه ابن دقماق فى كتابه ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار عن خطط الفسطاط . وكذلك يوسف أحمد ، الفسطاط ، سلسلة المحاضرات الأثرية ، ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ . القاهرة ـ ١٩١٧ م .

(٢) الحارة لغة : محلة متصلة المنازل ، ومن ثم قيل الحارة هى المحلة ، لأن أهلها يحورون إليها أى يرجعون ، جمعه حارات ، وكل أهل محلة ـ دنت منازلهم ، فهم أهل حارة ، لأنهم يحورون إليها ، أى يرجعون .
الزبيدى ، لحن العوام ، ص ٦٨ ، ص ٢٦٩ ، القاهرة ـ ١٩٦٤ .

(٣) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص ١٢ ، ١٣ .

والحارات فى الفسطاط فى رأى هى ما نشأ من فراغات بين الخطط سكنت فى مراحل تالية ، لما كانت أصغر من الخطط فقد عرفت بالحارة ، ويبدو من كلام ابن دقماق أن الحارات قد تختص بطائفة معينة كحارة الصيادين ، أو تعرف الحارة بشخص كحارة ابن الراجح ، أو بأسره كبنى الليثى .

* الأزقـــة [1] .

عدد ابن دقماق ما يزيد على ١٣٠ زقاقا [2] وأشار إلى العامر وغير العامر من هذه الأزقة فى عصره ، وما بهذه الأزقة من مرافق عامة ، ومساكن .

ومن أشهر أزقة الفسطاط ، زقاق القناديل وسمى بهذا الاسم لأنه كان منازل الأشراف وكان على أبوابهم القناديل ، زقاق الأندلسيين ، زقاق زويلة وفى هذا الزقاق المسجد الذى يقال ان تجيب تعاقدت فيه على قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه . ويذكر أحيانا ابن دقماق مكان الزقاق فى خطط الفسطاط ، كزقاق الزمرة من الحمراء ، زقاق اللبان من الحمراء ، ومن أزقة الفسطاط أيضا زقاق الريس ، زقاق بنى العوام ، زقاق بنى الرصاص وهو من الأزقة غير النافذة ، وكل ما فى الزقاق كان من أملاك بنى الرصاص ، وهذه الخصوصية فى الأزقة ناتجة عن التدرج فى مستويات الشوارع بالمدينة ، وكذلك من خصوصية الخطط بالقبائل

---

(١) الزقاق الطريق الضيق نافذاً أو غير نافذ إلى غيره من الشوارع أو الرحبات أو الخوجات .
(٢) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص ١٣ : ص ٢٥ .

وبطونها . وهم إهتموا بعمارة مسجد هذا الزقاق . ومثل هذا التقسيم كان له صداه حين قنن فقهاء المسلمين فقه تخطيط المدن الإسلامية . ومسئولية القاطنين عن مرافق خططهم .

* الدروب [1].

أحصى ابن دقماق بالفسطاط ٧٥ درباً مشهوراً [2]، وترجع شهرة بعض هذه الدروب إلى ما بها من مرافق ، مثل درب المعاصر ففيه معصرة زيت لم يكن بمصر مثلها لجودة عمارتها ، وكثرة أعوادها ، وعدة أحجارها ، وقد سكن بهذا الدرب أكابر أعيان المصريين . وإذا كان للدرب شهرة ينفرد بها فإنه يشير إلى ذلك مثل درب الوداع الذى بآخر مصر الآن ـ أى فى عصر ابن دقماق ـ ويشيع منه الجنائز ، وهذا الدرب ينطبق عليه تعريف الدروب بأنها كل طريق واسع يؤدى إلى ظاهر البلد ، وهذا يذكرنا فى القاهرة بالدرب الأحمر الذى يؤدى إلى ظاهر القاهرة ، وبباب الوداع بالحطابة بالقرب من القلعة والتى كانت الجنائز تخرج منه إلى جبانة باب الوزير . ومن دروب الفسطاط ، درب العداسين ، درب الريح ، درب السباع ، درب الكند ، درب الخشبة ، درب سالم درب الوحل ، درب الكرمة ، درب الضيافة .

---

(١) الدرب : المدخل الضيق ، هو باب السكن الواسع ، وكل طريق يؤدى إلى ظاهر البلد ، والجمع دروب ، وأدراب ودراب .

(٢) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص ٢٥ ، ص ٢٩ .

❁ الرحاب [1].

الرحاب هى بمثابة الميادين فى المدن اليوم ، وربما كانت الرحاب فى الفسطاط هى ملتقى الأزقة والدروب فى المدينة ، ومنها رحبة المكارية والزعفران ، وهذه الرحبة كان بها موقف . . المكارية الذين كانت تنقل دوابهم الناس ولذا لم يكن من الغريب أن يكون موضعها بالقرب من باب مصر الذى يؤدى إلى القاهرة . ومن المرجح أنه كانت توجد . بكل خطة من خطط الفسطاط على الأقل رحبة واحدة ، ومن هذه الرحاب ، رحبة الزبيرى ، رحبة أشهب ، رحبة بنى هلال رحبة عقيل ، رحبة البورى ، رحبة ابن سهم ، رحبة ابن تميم [2].

❁ الخوخات [3].

أحصى ابن دقماق فى الفسطاط ٢٨ خوخة ، فهى تفضى إلى درب أو زقاق أو طريق أو رحبة أو بستان بما يوفر على السالك لتلك السبل مشقة الدوران فى مثل هذه الأزقة والدروب الملتوية الطويلة فضلاً عن كون بعض هذه الأزقة والدروب غير نافذة . ولذلك كانت الخوخات وسيلة مناسبة لإرشاد المار حيث تفصل بين مسالك المدينة ، وتمنع السائر من

---

(١) الرحبة ، الأرض الواسعة ، رحبة المكان ومتسعه ، مثل رحبة المسجد ساحته ، والجمع رحاب ، ورحب .

(٢) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص ٣٥ : ص ٣٧ .

(٣) الخوخة : باب صغير وسط باب كبير نصب حاجزاً بين دارين أو مخترق ما بين كل دارين .

(٤) د . عبد العال الشامى ، مدن مصر وقراها فى القرن الثامن الهجرى) ص ٧٧ .

الولوج إلى أماكن غير نافذة . أو أماكن خاصة بقبيلة أو عائلة [٤] كخوخة ابن كاتب الحميدى والتى سكن داخلها جماعة من الأكابر . ومن خوخات الفسطاط أيضا .

خوخة الشامى ، خوخة الواقع ، خوخة الرزازين ، خوخة الفقيه نصر ، خوخة السلمى ، خوخة الصفى ، خوخة الفائزى ، خوخة بسم الله ، خوخة السراج .

* السقائف والأقبية

السقيفة : العريش يستظل به ، ولكن المقصود بها هنا أسقف من الحجر أو الخشب تعلو الطرق ، ويعلوها فى أغلب الأحيان فى الفسطاط مبنى ، ويمر الناس تحت هذه السقائف ، وأما المبانى التى تعلو هذه السقائف أو تحملها فهى متعددة ، أعطى ابن دقماق أمثلة منها :

دور العبادة كالمساجد فتسمى السقيفة باسم المسجد ، كسقيفة مسجد الزبير رضى الله عنه ، وهى يسلك من سفلها إلى سوق وردان وإلى درب البلاط وشارعه ، وسقيفه مسجد شجاعة ، وهذه السقيفة علو درب شجاعة وهى حاملة لمسجد ذكر ابن دقماق أنه ينسب إلى شجاعة صاحب الخطة ، وكان به إمام صالح من الأخيار يعرف بعبد العزيز الضرير أو إلى الكنيسة المعلقة ، وهى حاملة للكنيسة المعلقة يسلك من سفلها إلى جميع قصر الشمع ـ وقد تنسب السقيفة إلى المكان الذى تعلوه ، كسقيفة درب الكتان ، أو إلى شخص ، كسقيفة ابن الغارف . وأحصى ابن دقماق سبعين سقيفة فى الفسطاط [٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٧٧ .

أما الأقبية ، فهى أسقف معقودة من الحجر ، وهى تتميز بتحملها لأدوار عليا ، لمتانة بنائها عن السقائف التى يبدو أنها لم تكن تتحمل أكثر من طابق فوقها ، والأقبية فى الفسطاط تشبه الساباط فى عمارة القاهرة كساباط مدرسة قجماس الإسحاقى وإن كان ابن دقماق ذكر ساباطا بالفسطاط ، كان بالربع العادلى ، كان طرف منه يرتكز على جدار الربع ، والطرف الآخر على أعمدة من الصوان .

وإن كان يغلب على الظن أن الأقبية إستخدمت لأغراض متعددة بالفسطاط ، ويرجع ذلك كما ذكرنا إلى متانتها من الناحية الإنشائية ، ومن هذه الأقبية بالفسطاط ، قبودار الصاحب معين الدين ، وهذا القبو على خليج بنى وائل عند التقائه بالنيل ، وكان يحمل دار ابن الصاحب ، ومثل هذا النوع من الأقبية الذى يصل بين طرفى دار على خليج رأيت مثله فى مدينة بروج الأثرية ببلجيكا والتى تعود أبنيتها إلى العصور الوسطى ، حيث انتشرت الأقبية التى تربط بين طرفى الدور أعلى قنوات المدينة ، وانتشرت هذه الأقبية فى مدينة البندقية الإيطالية .

وقد يحمل القبو فساقى ماء الحمامات ، ولذا ينسب بعضها إلى الحمامات ، مثل قبو الحمام المعروف بابن سنا الملك الحامل لفساقى [1] ماء الحمام ، قبو حمام طن والذى يعلوه أيضا فساقى مياه الحمام ، وقد

---

(١) الفساقى ، هى خزانات المياه أعلى الحمامات والقصور ، ويرفع إليها الماء بواسطة السواقى ، ويبدو أن هذه الفساقى كانت كبيرة .
انظر ، ليلى إبراهيم ومحمد أمين ، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ، ص ٨٥ .

ينسب القبو إلى المكان الذى يوجد به ، كقبو زقاق عز الدين مرزوق ، وقبو زقاق البواقين ، وأحصى ابن دقماق بالفسطاط من الأقبية المشهورة نحو العشرة [١] .

* العقبات

كلمة العقبة تعنى المرقى الصعب من الجبال ، ولكنها فى الفسطاط تمثل بقايا أرضية الفسطاط الصخرية التى ظلت على ارتفاعها النسبى مما جعلها عقبة فى سبيل السالك للطرق تظهر مرتفعة عن منسوب الطرق والدروب ، ومن ثم جاء وصفها عند ابن دقماق « يصعد إليها من الطريق أو من الرحبات » .

وقد تكون العقبات أيضا هى الطرق التى تأخذ فى الارتفاع النسبى حين يقصد السالك طريقاً نحو الأكوام ، مثل كوم ابن غراب وكوم المحاير وكوم دينار وكوم المشانيق ، وعلى ذلك فالصلة واضحة بين العقبات والكيمان حتى لقد أوردهما ابن دقماق على التوالى فبدأ بالعقبات وثنى بالكيمان . وأحصى ابن دقماق أكثر من عشرين عقبة مشهورة وهى فى مجملها منسوبة إلى مجموعات عرقية عربية قبائل أو إلى أشخاص [٢] .

---

(١) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .
د . عبد العال الشامى ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .
(٢) ابن دقماق : مصدر سابق ، ص حـ ٤ ، ص ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣
د . عبد العال الشامى ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

* برك الفسطاط

أعطت البرك التى حول الفسطاط بعداً عمرانيًا إضافيا لانستطيع أن نغفله عند الحديث عن المدينة وتطورها العمرانى عبر العصور، ومن هذه البرك:

* بركة الحبش

عرفت هذه البركة بعدة أسماء ففى صدر الإسلام عرفت ببركة المعافر، كما عرفت أيضا ببركة حمير نسبة لقبلتين عربيتين نزلتا حولها زمن الفتح الإسلامى لمصر، كما عرفت أيضا باصطبل قرة نسبة إلى قرة بن شريك العبسى الذى ولى مصر من سنة ٩٠ هـ إلى سنة ٩٦هـ الذى اهتم بها وغرسها قصبًا، كما عرفت ياصطبل القامش أى القصب الذى كان يزرع بها.

أما عن اسم بركة الحبش فمن المرجح أنها تنسب إلى الجنان الواقعة قبلى البركة وهى منسوبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى الذى شهد فتح مصر، والجنان تعرف بالحبش وبها تعرف بركة الحبش [1].

كانت بركة الحبش تقع جنوبى مدينة الفسطاط فيما بين جبل المقطم والنيل، وكان الجبل يحيط بها من الجهتين الشرقية والشمالية، والجهة الشرقية كانت على شكل هضبة أقيم على بعضها قرية البساتين القديمة، وأما الجهة الشمالية فتمثل هضبة اسطبل عنتر حاليًا وكان الجزء الغربى

---

(١) ابن دقماق، جـ ٤، ص ٥٥، المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ١٥٢ محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة فى العصر المملوكى والعثمانى، ص ١٢٤. رسالة ماجستير بكلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.

منها يمثل جبل كان يسمى قديمًا الرصد. والحد الجنوبى للبركة كان حدائق وبساتين. والحد الشمالى الشرقى ينتهى إلى البئر الطولونية لا تزال موجودة حتى الآن بحى البساتين جنوبى القاهرة وتسمى الآن بئر أم سلطان وهى تمثل مأخذ مياه القناطر التى أنشأها أحمد بن طولون والتى لا يزال الجزء الجنوبى منها باقيا بالبساتين الآن.

وقدر محمد الششتاوى مساحة بركة الحبش بألفين ومائتى فدان، كانت حتى منتصف القرن العشرين أراضى زراعية تقع فى زمام قرية دير الطين (حى دار السلام حاليا) وزمام قرية البساتين.

أما عن تاريخ البركة فأول من أهتم بها هو الأمير قرة بن شريك العبسى الذى غرس بها قصبًا، ثم دخلت فى ملك أبى بكر المادرائى [1] الذى كان وزيرًا للطولونيين، وقد قام بوقفها فى سنة ٣٠٧ هـ/ ٩١٩م على بعض المنشآت المائية والأمور الخيرية مثل الصرف على فقراء سكان القرافة من المعافر وغيرهم [2].

ثم استولى عليها الوزير الفاطمى الصالح طلائع (٥٤٩ - ٥٥٦هـ/ ١١٥٤ - ١١٦١م) وأوقفها على السادة الأشراف الحسينيين أحفاد الحسين بن على كرم الله وجهه [3].

---

(١) هو أبو بكر محمد بن على المادرائى، ولد بنصيبين سنة ٢٥٨هـ، وقدم إلى مصر سنة ٢٧٢هـ، تولى عدد من المناصب فى الدولة الطولونية إلى أن دخل العباسيين مصر، فحملوه إلى بغداد، ثم عاد إلى مصر مرة أخرى ودبر أمرها وأمر ونهى، كان واسع الثراء محبا لأمور الخير، توفى فى شوال سنة ٣٤٥هـ.
المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ١٥٥، ١٥٦.
محمد الششتاوى، مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢) ابن دقماق، مصدر سابق، جـ ٤، ص ٥٥، ٥٦.

(٣) المصدر السابق.

وفى العصر الأيوبى شاركهم فيها أقاربهم الطالبيين، وفى العصر المملوكى ثبت الوقف عليهم عدة مرات [١]، ثم استولى عليها النشو ناظر الخاص للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وعوض الأشراف عنها مالاً من بيت المال يصرف لهم سنويًا ، فلما مات الناصر محمد وتسلطن من بعده الملك المنصور أبو بكر فى ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م بادر باعادة البركة إلى الأشراف وظلت وقفًا عليهم بعد ذلك، وظلت البركة فى العصر العثمانى تتبع فسطاط مصر من الناحية الإدارية .

كانت بركة الحبش تغذى بالماء عن طريق خليج بنى وائل الذى يخرج من النيل جنوبى مصر القديمة ، وكانت أرض البركة وقت أن يغمرها النيل تشبه البرك ولهذا سميت بركة وبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أراضيها ، ولا تحتاج إلى الحرث للينها بل تلاق لوقًا وتزرع أصنافًا شتوية مثل الكتان والبرسيم والقصب وكانت تحف بها أشجار الجميز والعنب والنخيل [٢].

بنيت حول بركة الحبشى الدور والقصور والمناظر والجواسق والجوامع والأديرة والكنائس منذ الفتح الإسلامى لمصر، وكان العمران على أحسن ما يكون فى العصر الفاطمى، وعاش حولها المسلمون وأهل الذمة حيث تداخلت دورهم، واستمرت البركة عامرة بعد ذلك فى زمن الدولة الأيوبية [٣].

---

(١) محمد الششتاوى ، مرجع سابق، ص ١٣٠ .

(٢) محمود الحسينى، مرجع سابق، ص ١٦٨ : ١٧٧ ، محمد الششتاوى، مرجع سابق، ص ١٣٠ .

(٣) هو الوزير الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين بن الوزير الصاحب بها الدين على بن سليم بن حنا، من أسرة عريقة تولت أرفع المناصب فى الدولة المملوكية وكانوا أهل علم ودين وأدب ولد سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م وتوفى سنة ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧م. المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ .

وفى بداية العصر المملوكى زاد الإهتمام بإقامة منشآت دينية على حدود البركة ، فشيد الصاحب تاج الدين بن حنا [1] جامع سنة ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م على حافة البركة فى شاطئها الغربى بناحية دير الطين ، وذلك عند تعميره بستان المعشوق بجواره ، وفى هذا الجامع يقول الشاعر السراج الوراق :

بنيتم على تقوى من الله مسجداً ... وخير مبانى العابدين المساجد
فقل فى طراز معلم فوق بركة ... على حسنها الزاهى لها البحر حاسد

وكان الصاحب تاج الدين شيد رباطًا من ذى قبل على بركة الحبش سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م [2].

كما أقيم حول البركة فى العصر المملوكى بعض المنشآت التى إرتبطت بالتنزه فقد بنى الملك الناصر محمد بن قلاوون مسطبة لإطعام الطير بغرض الصيد هناك ، كما بنى ابنه أنوك منظرة وحوشًا لتربية الطيور كان يقضى أغلب أوقاته بها مع مغنية شغف بها حبا [3].

ويبدو أن العمران حول البركة بغرض السكنى توقف بعد فترة الإزدهار التى شهدتها مصر فى زمن الناصر محمد بن قلاوون . خصوصًا أن مصر تعرضت لمحن وشدائد عظيمة منذ مطلع القرن التاسع فهجرت الإقامة حول البركة ، فضلاً عن زيادة نشاط الحركة العمرانية

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٩٩ ، محمد الششتاوى ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .
(٢) د. محمد حمزة، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م، محمد الششتاوى، مرجع سابق ، ص ١٣١ .
(٣) محمد الششتاوى ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ : ١٣٦ .

بالقاهرة ، مع ملاحظة بعد بركة الحبش عن مدينة القاهرة ، وظلت البركة فى العصرين المملوكى والعثمانى موضع تنزه فقط .

*** بركة الشعيبه**

سميت بركة الشعيبيه بهذا الاسم نسبة إلى بنى الشعيبية الذين بنوا حولها فى العصرين المملوكى والأيوبى . تقع هذه البركة شمال بركة الحبشى ، ويمثل موقعها حاليا منطقة الزهراء بمصر القديمة ، وتبلغ مساحتها أربعة وخمسين فدانًا . وكان الماء يأتيها من خليجين أحدهما يقع جنوبها والخليج الآخر هو خليج بنى وائل وكان يقع شمالها .

كانت هذه البركة وقفا للمؤرخ أسعد بن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م ، ثم استأجر البركة الأمير عز الدين الأفرم ، الذى عمرها ، وتخربت الدور والمناظر التى حول البركة فى بداية القرن ٩ هـ/ ١٥م ، وصارت البركة مزارع وبساتين . وكانت البركة فى أوج ازدهارها متنزها لأهل مصر ، حيث كانت الشخاتير (مراكب النزهة) تدخلها ، وظلت موضع تنزه بعد تحويلها لبستان حتى تعرضت للتخريب والدمار ، وتحولت إلى كيمان . فى القرن ٩ هـ/ ١٥م . [١] .

*** بركة شطا**

كانت بركة شطا تقع شمال بركة الشعيبية ، وكان الماء يدخل إليها من خليج بنى وائل بواسطة برابخ (أنابيب) وبواسطة قنطرة تتوسط جسر الحبات الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية جنوبها .

---

(١) محمد الششتاوى ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

كانت الدور تحيط بالبركة وكان بجوارها بستان فيه منظرة ، وطاحون وحمام وبظاهر بابه حوض سبيل كان القاضى مخلص الدين الموقع المعروف بالمخلص قد عمرهم ، وكذلك كان يتوسط البركة مسجد يعرف بمسجد الجلالة يتوصل إليه من خلال قناطر . وتخربت الدور والبساتين حول البركة فى القرن ٩ هـ/ ١٥م . نظراً لانقطاع الماء عنها وأصبح موضع البركة كيمانا .

ويرى محمد الششتاوى أنه كان لانحسار ماء النيل عن الضفة الشرقية فى بداية القرن ٩هـ/ ١٥م أثر سلبى على الجزء الجنوبى من الفسطاط ، وبالتالى تأثرت البرك الثلاث السابقة بذلك ، لصعوبة مدها بالماء عن طريق خليج بنى وائل الذى لم يهتم أحد بمده وتنظيفه حتى طغى الرمل عليه ، بالإضافة إلى المحن التى تعرضت لها مصر آنذاك ، ومن المعروف أن العمران نشط بالفسطاط فى الجزء المواجهة لجزيرة الروضة فى عصر المؤيد شيخ ، إلا أن القسم الجنوبى من المدينة لم يأخذ حظه من التعمير مرة أخرى إلا فى العصر الحديث .

obeikandl.com

* دار الإمارة

لم يكن فى الفسطاط فى بداية عهدها دار إمارة خاصة ، بل كانت الدار التى يقيم بها الوالى بمثابة دار إمارة [١] وقد إختط عمرو بن العاص داراً له بجوار المسجد الجامع لا يفصل بينها وبين المسجد سوى الطريق ، وظل هذا الوضع قائما حتى آخر الدولة الأموية ، هذا وإن كان عبد العزيز بن مروان قد بنى فى خلافة أخيه عبد الملك داراً سميت « بدار الذهب » سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م ذات قبة مذهبة ، ولفرط سعتها ، كانت تعرف بالمدينة ، إتخذها مقراً له ، ثم اتخذت مقراً لأمراء مصر من بعده[٢] ويذكر الكندى عن هذه الدار أن عبد العزيز بن مروان « أمر ببنيان الدار المذهبة فى سنة سبع وستين التى تدعى بالمدينة بسوق الحمام وهو غربى المسجد الجامع » .

ظلت الدار المذهبة منزلاً لأمراء مصر إلى أن أمر باحراقها مروان بن محمد أثناء تعقب العباسيين له [٣] وحين تم النصر للعباسيين اختط صالح بن على وأبوعون داراً للإمارة فى العسكر ، وذكر البلوى أن دار الإمارة هذه كان يطلق عليها اسم « بلد الإمارة » ووصفها بقوله : « كان لها بابان

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٩٦ .
المقريزى ، الخطط ، حـ ١ ، ص ٢٩٦ .
القلقسندى ، صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٣٥ .
د . حورية سلام ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمى ، ص ٧٣ ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ م .

(٢) الكندى : الولاة والقضاه ، ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

أحدهما بالحارة المعروفة بحوض أبى قديرة ، وبابها الآخر الملاصق للشرطة الفوقانيه وكان باب الشرطة أيضا أحد أبوابها ، وكانت كلها دار واحدة ، ولها باب إلى المسجد الملاصق للشرطة [١] ومعنى هذا أن دار الشرطة كانت جزءاً من دار الإمارة فلما نزل أحمد بن طولون مصر نزل دار الإمارة بالعسكر ، ولما وجد أنها تضيق بعسكره بنى سنة ٢٥٩ هـ/ ٨٧٢ م قصره وحول السهل الممتد بين هذا القصر وجبل يشكر إلى ميدان كبير للاستعراضات العسكرية والرياضية وسمى القصر كله الميدان [٢] وكان للقصر الذى جعله داراً للإمارة ثلاثة أبواب عالية متصلة بعضها ببعض خصص الباب الأوسط منها وهو الباب الرئيسى له [٣] بينما كانت الحاشية والعسكر تخرج من البابين الآخرين . وكان له أيضا باب للصلاة بمحازاة جامعة الشهير وباب الميدان حيث كان يمر منه الجند وباب الحرم الخاص بالنساء ، ثم أبواب أخرى تسمى بأسماء حجابها :

باب الدرمون ، وباب وعناج ، وباب الساج الذى سمى باسم الخشب الذى صنع منه ، وباب السباع ، وسمى هذا الباب بهذا الاسم لأنه صور عليه سبعين من جص .

وأبواب القصر الرئيسية يبدو أنها كانت أبواب تذكارية ولم تكن أبواب بسيطة .

---

(١) البلوى ، سيرة أحمد بن طولون ، ص ٥٥ .
(٢) الكندى ، مرجع سابق ، ص ٢١٥ .
المقريزى ، الخطط ، حـ ١ ، ص ٣١٣ .
(٣) البلوى ، مرجع سابق ، ص ٥٥ وما بعدها .

وزاد خمارويه فى هذا القصر ، ودمر القصر والميدان وهما رمز لحكم الطولونيين عند دخول جيوش العباسيين مصر ، وظل الولاة بعد ذلك ينزلون دار الإمارة بالعسكر حتى اتخذ كافور الأخشيد لنفسه داراً عند جامع بن طولون جعلها داراً للإمارة وكانت تقع عند بركة قارون وبلغت تكاليف هذه الدار مائة ألف دينار [١] .

* شرطة الفسطاط

كان حاكم مصر سواء أثناء تبعيتها للدولة الإسلامية أو أثناء إنفصالها هو الذى يعين صاحب الشرطة ، الذى كانت مهمته تطبيق القوانين وتنفيذ العقوبات ، ومنذ انشاء العسكر كانت هناك شرطتان بالفسطاط سميت شرطة العسكر بالشرطة العليا على أساس أنها تقع إلى الشمال من شرطة الفسطاط التى سميت بالشرطة السفلى [٢] . وشغل الترك هذا المنصب ابتداء من عهد أحمد بن طولون وطوال حكم بقية الدولة .

كان من بين واجبات صاحب الشرطة الاهتمام بنشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق ، فيذكر الكندى أنه فى ولاية مزاحم بن خاقان سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م أمر صاحب شرطته [٣] أزجور بمنع النساء من

---

(١) د . حورية سلام ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الفسطاط ص ٧٧ ، ٧٨ .
(٢) الكندى ، الولاة القضاة ، ص ٢١٠ .
المقريزى ، الخطط ، حـ ١ ، ص ٣٠٤ .
(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٠ .

الخروج من بيوتهن والتوجه إلى الحمامات والمقابر . كما أمر بسجن المؤنثين والنوائح [١] .

وكان صاحب الشرطة بمثابة نائب للوالى يؤم الناس فى الصلاة إذا مرض الوالى ، ويتولى شئون البلاد إذا خرج الوالى من الفسطاط ، فقد أم خارجة بن حذافة صاحب الشرطة أيام عمرو ابن العاص الناس فى الصلاة أثناء مرض عمرو [٢] كما ناب عباس بن سعيد المرادى صاحب الشرطة عن عبد العزيز بن مروان والى مصر عند خروجه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٦٧ هـ/ ٦٨٦ م ، كما كان حفص ابن الوليد صاحب شرطة الفسطاط قبل أن يلى حكم مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك [٣] .

* دار الضرب

من الممكن تحديد موقع دار ضرب النقود فى الفسطاط مما ذكره ابن عبد الحكم عند حديثه عن زيادة عبد الله بن طاهر فى المسجد الجامع حيث يقول « ثم زاد عبد الله بن طاهر فى عرضه بكتاب المأمون بالإذن له فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وأدخل فيه دار الرمل إلا ما يقرب منها من دار الضرب [٤] وكذلك ما ذكره المقريزى عند إشارته إلى الزيادات التى ألحقت بالمسجد الجامع سنة ٣٥٥ هـ/ ٩٦٥ م حيث يقول زاد فيه أبو بكر

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، حـ ١ ، ص ٣٣٧ .
(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٠٥ .
(٣) الكندى ، ص ٤٩ ، ٧٤ ، ٧٥ .
(٤) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

محمد بن عبدالله الخازن رواقا واحداً من دا رالضرب وهو الرواق ذو المحراب والشباكين المتصل برحبة الحارث » ثم أكد هذا القول عند حديثة عن عمارة الجامع فى العصر الفاطمى إذ قال « فى شهر رمضان سنة ٤٤٠ هجرية جددت الخزانة التى فى ظهر دار الضرب»[١] .

وظلت دار الضرب [٢] . قائمة فى الفسطاط حتى عهد الآمر الفاطمى الذى أمر بانشاء دار جديدة للضرب فى القاهرة عاصمة الفاطميين .

وضربت النقود فى الفسطاط منذ فترة مبكرة فى عصر الولاة وعثر فى حفائر الفسطاط على مجموعة من النقود تحمل أسماء الولاة أو عمال الخراج الذين تولوا أعمالهم فى مصر مثل فلوس القاسم ابن عبيد الله عامل خراج مصر سنة ١١٦ ـ ١٢٤ هجرية ، وهذه المجموعات من النقود محفوظة فى متحف الفن الإسلامى ، وكان على بن سليمان العباسى أول من ضرب الدنانير فى الفسطاط فى العهد العباسى وفى عهد الطولونيين ظلت دار الضرب فى الفسطاط تقوم بعملها . وكان لتشدد أحمد بن طولون أثره فى إقبال الناس على التعامل بالدنانير دون غيرها ، كما تعززت مكانة الفسطاط فى الأسواق الخارجية فقد كان الدينار الاحمدى من أحسن الدنانير الإسلامية وأثقلها وزنا ، فأقبل عليه الناس

---

(١) المقريزى ، الخطط ، حـ ٢ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٢) عبد الرحمن فهمى ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص ٤٩ ، ٥٠ المكتبة الثقافية (١٠٣) القاهرة ١٩٦٤ م .

فى أسواق الشرق إقبالاً عظيماً [1] وظلت دار الضرب فى الفسطاط تصدر العملة باسم الحكام الإخشيديين ، باستثناء عهد كافور ، وهكذا ظلت النقود تضرب بدار الضرب فى الفسطاط حتى نهاية عهد الإخشيديين ، بل بعد قيام الدولة الفاطمية حتى عهد الآمر الفاطمى . وكان يشرف على أعمال دار الضرب فى الفسطاط متولى دار الضرب . وأشار ابن سعيد المغربى أن صدقه بن الحسن هو الذى تولى دار الضرب المصرية فى الفسطاط فى العصر الإخشيدى . وكان يعهد إلى القاضى بالإشراف على دار الضرب ، فحين تولى الحسن بن زرعة قضاء مصر سنة ٣٢٤ هـ / ٨٣٨ تولى أيضا الإشراف على المواريث والأحباس ودار الضرب . وإشراف القاضى هو ضمان لشرعية وزن الدراهم والدنانير والتأكد من عدم غش الذهب . وقد كان القاضى يجتهد فى خلاص الذهب وتحرير عيار [2] .

* المرافق التعليمية والدينية

انتشرت المرافق التعليمية والدينية بالفسطاط ، وقد أحصى ابن دقماق نحو ٢٤ مدرسة بها ، ومن أطرف ما ذكره من معلومات عن هذه المدارس ما أنفق على تشييدها ، مثل المدرسة المسلمية المنسوبة إلى القاضى ناصر الدين بن مسلم الكارمى فقد أوصى بعمارتها من بعده وأرصدها ستة

---

(١) متز ، الحضارة الإسلامية ، حـ ٢ ، ص ١٧١ .
(٢) المقريزى ، الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٠٦ .
حورية سلام ، مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

عشر ألف دينار ، فعمرت وجاءت من أحسن المدارس فلم يكن بمصر مدرسة أحسن بناء منها [١] .

ومن المدارس المملوكية الشهيرة بالفسطاط المدرسة المعزية التى عمرها الملك المعز أيبك عام ٦٥٤ هـ ، وكان لها عدة أوقاف منها الحمامين المتجاورين وربع الطاووس [٢] ومن الواضح تركز المدارس على شاطئ النيل أى فى القطاع الغربى من الفسطاط الحادث بعد خراب الفسطاط ويدل ذلك على حداثة نشأة هذه المدارس . ومن أمثلتها « المدرسة البدرية الخروبية » فهذه المدرسة على شاطئ النيل مطلة عليه ، عمرها القاضى بدر الدين الخروبى وهى إلى جانب داره . وقد أقيمت سنة سبعمائة هجرية [٣] .

وأسرة الخروبى هذه لها أكثر من مدرسة مثل المدرسة العزية الخروبية التى عمرها القاضى عز الدين على ساحل النيل ، وكذلك المدرسة التاجية الخروبية عمرها القاضى تاج الدين الخروبى أخو عز الدين المذكور قبله [٤] .

وتختلف المدارس القائمه فى القطاع القديم من مدينة الفسطاط عن تلك التى أقيمت على شاطئ النيل ، فالمدارس فى داخل الكتلة السكنية

---

(١) ابن دقماق ، مرجع سابق ، حـ ٤ ، ص ٩٩ .

(٢) ابن دقماق ، مرجع سابق ، حـ ٤ ، ص ٩٣ . والحمامان جاءا فى وصف وكالة الملك وهما مشهورين بحمامى السلطان .

(٣) ابن دقماق ، مرجع سابق ، حـ ٤ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، حـ ٤ ، ص ٩٨ .

القديمة كانت فى مساجد معلقة مثل المدرسة بالمسجد بسوق وردان وهو مسجد معلق بسوق وردان المنفرد ليس يجاوره شيء بل الطرق دائرة عليه وهو من المساجد الخطية وليس بمصر مسجد منفرد ، والطرق دائرة عليه سوى هذا المسجد ومسجد آخر بالرحبة التى آخر الجير ، وهذا المسجد سفله حوانيت دائرة عليه من جهاته الأربع [١] .

ومثل هذه المدارس أو المساجد المعلقة تقوم الحياة فيها اعتمادا على العائد الذى يأتيها من تأجير الحوانيت فى الطابق الأرضى وذلك بالإضافة إلى ريع الأراضى الزراعية والعقارات الأخرى . من أمثلة هذه المدارس مدرسة ابن الأرسوقى « فهى فى مسجد معلق يتم الدخول إليه من سفل ساباطه (سقيفته) ، ومن وقف هذه المدرسة الحوانيت التى بسفله والقيسارية الكبرى والقيسارية الصغرى [٢] .

ولما كان المذهب الشافعى والمذهب المالكى هما أكثر المذاهب الفقهية إنتشارا بمصر فإن التدريس كان يتم فى المدارس وفقا لأحد هذين المذهبين أو هما معا أو دون تقيد بمذهب معين ، ومن أمثلة المدارس التى يتم التدريس فيها على المذهب الشافعى مدرسة ابن الأرسوفى . وكمثال لما كانت تضمه المدرسة من عاملين للتدريس والوظائف الأخرى نذكر ما كان بالمدرسة المجدية الخليلية التى أقيمت عام٦٦٣ هـ . وكان فيها عدد من

---

(١) المرجع السابق ، حـ ، ص ٩٨ .

(٢) ابن دقماق ، مرجع سابق ، حـ ٤ ، ص ٩٨ .

المدرسين والمعيدين عشرين نفرا ، وإماما ومؤذنا مواظبين وقيما لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها وإدارة ساقيتها وإجراء الماء إلى ساقيتها .

وتشمل المرافق الدينية بالفسطاط المساجد الجامعة ومساجد الصلوات الخمس ومن أبرزها : ـ

ـ الجامع الناصرى : وقد فصل ابن دقماق الحديث عنه فيما يتعلق بتاريخ النشأة وخصائص الموضع ووصفه الداخلى وقد بدأ إنشاء هذا الجامع عام ٧١١ هـ بواسطة القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة ، وتدبير القاضى كريم وكيل السلطان وناظر خاصته ، وقد إكتمل المسجد الجامع فى العام الثانى ٧١٢ هـ [٢] .

وإذا كان المسجد الجامع العتيق قد إرتبط بالنشأة الأولى للفسطاط فان الجامع الناصرى خير مثال لما شهدته الفسطاط فى القرن الثامن الهجرى من إنشاء مساجد جامعة لها ملحقاتها .

ومن جوامع الفسطاط التى ذكرها ابن دقماق أيضا جامع الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، الجامع التاجى ، الجامع العلائى ، الجامع بالرصد جامع الشاميين ، جامع راشده . ويتضح مما ذكره ابن دقماق عن هذه الجوامع أن مواضع هذه الجوامع المستجدة جاءت فى مناطق النمو العمرانى خارج مدينة الفسطاط فى الجنوب والجنوب الشرقى ، ومنها

---

(١) المرجع السابق ، حـ ٤ ، ص ٩٦ .
د . عبد العال الشامى ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .
(٢) ابن دقماق ، مرجع سابق ، حـ ٤ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

ما كان فى الشمال ، مما يعكس مدى حاجة السكان الجدد فى أطراف الفسطاط إلى المساجد التى تعددت لزيادة حجم سكان الفسطاط .

* مساجد الصلوات :

أحصى ابن دقماق منها نحو ٥٣٧ مسجدا ، وقام بذكر توزيعها على الشوارع والأماكن من الأزقة والأسواق والدروب والحارات والأكوام والسويقات والعقبات ، بل وما كان منها داخل الفنادق مثل مسجد فندق الكارم ومسجد بفندق بنى الرصاص ومسجد بفندق الجوباشى [١] . وقد يعمر المسجد فوق الفندق بمعرفة من أقام الفندق فيصبح مسجدا معلقا كالذى عمره الجلال ابن القطروانى علو فندقه [٢] . وإقامة المساجد الخمس داخل المرافق العامة من الأمور المعتادة حتى تقام الصلاة لوقتها . ومن أطرف ما فى الفسطاط بعض مساجدها التى الحقت بالحمامات مثل مسجد حمام أبى قرده الذى عمره الصاحب بهاء الدين [٣] وهناك الكثير من الحمامات التى تجاور المساجد حتى أن تحديد المسجد يشار إليه بأنه بجوار حمام كذا . والصلة واضحة وكبيرة بين الحمامات العامة والمساجد .

وأول مساجد الصلوات التى أشار إليها المؤرخون مسجد فى اصل حصن الروم عند باب الريحان قبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس وكان

---

(١) المرجع السابق ، حـ ٤ ، ص ٩٠ .
(٢) المرجع السابق ، حـ ٤ ، ص ٨٨ .
(٣) ابن دقماق ، مصدر سابق ، حـ ٤ ، ص ٨٩ .

يسمى مسجد القلعة [١]، كما يشير المؤرخون إلى مساجد أخرى أنشئت بالفسطاط مثل مسجد بادى الذى كان يقع فى خطة قبيلة غافق ، ومسجد إبراهيم القراط فى خطة قبيلة دهنة إحدى بطون غافق ، ومسجد سيبان وهو مسجد تعلوه قبة كان يقع فى أحد خطط قبيلة مهرة وهى خطة سيبان [٢]ويذكر الكندى مسجد عبد الملك بن مروان انه كان موضعه يجلس فيه أهل المدينة يتحدثون فمر بهم عبد الله وهو أميرهم فسألوه أن يبنى لهم فيه مسجداً وشكوا إليه ما يلقون من الشمس فبناه لهم ، فكانوا يجتمعون فيه ، وينفى الكندى نسبة هذا المسجد إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب مؤكداً أنه لعبد الله بن عبد الملك ، ويحدد موقعه على الوجه الآتى :

يحده من قبليه الطريق الأعظم إلى المسجد الجامع ، ومن بحرية الطريق الذى يؤدى إلى سوق بربر وشرقه إلى السويقة المسماه بسويقة مسجد عبد الله وغربية الطريق الذى يسلك منه على الجب الذى يقال له جب عبد الله [٣].

كما يشير ابن عبد الحكم إلى مسجد سمى مسجد الأبيض وكان قاضى الفسطاط يجلس فيه للقضاء سنة ١٤٤ هـ/ ٧٦١ م .

كما يشير الكندى إلى مسجد عند سفح المقطم كان يسمى مسجد محمود وكان يركب إلى مسجد محمود لالتماس هلال رمضان ، ويذكر

---

(١) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢١ ، ١٣٥ .
(٣) الكندى ، مصدر سابق ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

أن الأخشيد أمر أبا بكر قاضى الفسطاط فى ذلك الوقت بأن يعلن إلى الناس رؤية هلال رمضان من هذا المسجد ويبدو أن السبب فى ذلك أن موقع المسجد كان من الارتفاع . بحيث يسمح برؤية الهلال . وأول من خرج بالناس إلى مسجد محمود لرؤية هلال رمضان القاضى اسماعيل بن اسحق الذى تولى قضاء الفسطاط سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م .

ولم يشر ابن عبد الحكم إلى هذا المسجد ، ويبدو أنه لم يكن قد أنشئ إلا فى وقت متأخر نسبيا إلا أنه كان موجوداً أيام الطولونيين ، حيث يشير الكندى أنه حين تزايدت علة أحمد بن طولون أمر الناس بالدعاء له فغدا الناس بالدعاء إلى مسجد محمود بسفح المقطم سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣م[١] .

* الحمامات

الحمامات من المنشآت العامة التى كثر تشييدها فى المدن الإسلامية لإرتباطها بنظافة المسلم ، وقد بلغ عدد حمامات الفسطاط فى عهد ابن دقماق ٤٥ حماما ، وتعود أهمية الحمامات إلى أنها من المشروعات ذات العائد الكبير ، فقد كانت تقام لتصبح وقفا على المنشآت الدينية كالمساجد ، فتم وقف الحمامات على الجامع العتيق بمصر الفسطاط وكذلك على الجامع الأقمر بالقاهرة ، وعلى الخانقاة التى بناها علاء الدين ابن صاحب الموصل ، وهناك حمام أوقفه تقى الدين عمر على مدرسته منازل العز بالفسطاط ، وحمام آخر أوقف على التكاررة

---

(١) الكندى ، مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

وهم من مسلمى غرب إفريقيا ، وكان لهم وجود مستمر بالمدينة ، وهذه بعض أمثلة المنشآت التى أوقفت عليها حمامات الفسطاط .

ومن أقدم حمامات الفسطاط حمام الفار بسويقة المغاربة وهى من خطة عمرو بن العاص ، سمى بهذا الاسم لما استصغرته الروم بالنسبة لحماماتها الواسعة ، ومشيد هذا الحمام عمرو بن العاص ، ومن حمامات الفسطاط حمام الخشابين وحمام سوق وردان ، وحمام السيدة وحمام السوق الكبير حمام أبى مرة . ومن الملفت للنظر وجود حمامات بالدور الخاصة بالفسطاط ، وهذا يدل على مدى ما وصلت إليه عمارة هذه الدور ، ورصد منها ابن دقماق إحدى عشر حماماً ، ومن هذه الحمامات حمام الصاحب فخر الدين بن الخليلى بداره ، وحمام ولده الصاحب عماد الدين ، وحمام بدار السكرى انشأه القاضى فخر الدين[1] .

* البيمارستانات [2] .

شيد بالفسطاط عدد من البيمارستانات أولها بيمارستان فى زقاق القناديل بنى فى عهد بنى أمية ، ثم تلى ذلك تشييد أحمد بن طولون البيمارستان العتيق ويعرف بالأعلى حوالى عام ٢٥٩ هـ أو ٢٦١ هـ ، وكان خاصا بأفراد الشعب ، وأنفق ابن طولون على تشييده ستين ألف دينار ، ولكى يضمن إستمرار خدماته ، أوقف عليه سوق الرقيق

---

(١) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ : ١٠٧ .

(٢) بيمارستان : كلمة فارسية مكونة من مقطعين بيمار أى مريض وستان : مكان ، وتناظر فى العربية دار الشفاء أو المستشفى .

ومنشآت معمارية عديدة ، أما البيمارستان الأسفل فقد أنشئ فى عهد الدولة الإخشيدية عام ٣٤٦ هـ ، وقد بناه الخازن الذى عمر مقياس النيل بالروضة وأقيم بالأهراء (الشون الخاصة بالغلال) على ساحل مصر ، وألحق به المنشىء دورات مياه منها واحدة خصصت لتغسيل الموتى ومواضع للسقاية وحمامين ، وأجرى إلى المنشأة الماء من بئر فى دار الصناعة بساحل مصر . وأجرى الأخشيد على هذا البيمارستان أوقاف عديدة منها قيسارية ودور وحوانيت وذكر المؤرخون أنه كان يوجد فى هذا البيمارستان من الأزيار الصينى الكبار والقدور النحاس والهواوين والطشوت ونقل إليه من البيمارستان الأعلى أضعاف ذلك . وقد خرب البيمارستان فى العصر المملوكى [١] .

وتبع بناء البيمارستانات وجود عدد من الأطباء المشهورين بالفسطاط على رأسهم أبو الحسن على بن رضوان الذى عاش فى الفسطاط بين عامى ٩٨٠ ، ١٠٦١ م وألف العديد من المؤلفات الطبية أشهرها « دفع مضار الأبدان بأرض مصر [٢] وهذا المخطوط ألفه ردا على طبيب القيروان الشهير ابن الجزار ناقدا وشارحاً للأوبئة وأسبابها وطرق علاجها ، وكان ابن الجزار ألف كتابا بعنوان « كتاب فى نعت الأسباب المولدة للوباء فى مصر وطريق الحيلة ، فى دفع ذلك وعلاج ما يتخوف

---

(١) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص ٩٩ .

(٢) هذه المخطوطة محفوظة فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم (٣٦ طب ـ ف ٤٣٧) وتقع فى ٢٢ ورقة أبعادها ٢٠ × ٢٠ سم مكتوبة بخط نسخى وثلث جميلين ، تحتوى كل صفحة على ٢٥ سطرا وتبدأ بقوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد أما بعد هذا كتاب على بن رضوان فى دفع مضار الأبدان بمصر . . ﴾ .

منه » نتيجة لأقوال سمعها ابن الجزار من بعض المغاربة الذين اعتلت صحتهم فى مصر ، فأراد ابن رضوان أن يصحح ويبين ما جاء فى كتاب ابن الجزار . وجاء كتاب ابن رضوان فى خمسة عشر فصلاً ، وانتقد ابن رضوان أهل مصر بسبب بعض عاداتهم السيئة التى عادت عليهم بالأمراض ومنها « أن أهل مصر يرمون فى النيل الذى يشربون منه ماءه فضول حيواناتهم وجيفهم ومجارى كنفهم مما يؤدى إلى اصابتهم بأمراض شتى . رغم أن أبدانهم قد اعتادت على ذلك وعقد ابن رضوان مقارنه فى كتابه بين البيئة وارتباطها بصحة الإنسان فى كل من القاهرة والفسطاط ، فالقاهرة بالنسبة للفسطاط أجود هواءً وأعدل وأصلح حالاً، وأردأ موضع فى المدينة الكبرى هو فى الفسطاط حول الجامع العتيق ، ولابن رضوان كتاب آخر هو « الكافى فى كيفية تعليم صناعة الطب » .

وعثر فى حفائر مدينة الفسطاط على عدد كبير من الآلات الجراحية والمعدنية ، ويرجح الدكتور هنرى عوض أن هذه الأدوات الطبية ترجع إلى ما قبل العصر الفاطمى ، وهذه الأدوات تشتمل على مجموعة كبيرة من المكاوى التى تستعمل فى الكى وهى أنواع وأشكال عدة تستعمل فى مختلف العمليات الجراحية مثل نواصير العين والأست وفى استئصال الأورام الحميدة والخبيثة والبواسير والزوائد اللحمية وعرق النسا والقيلة المائية والفتق والشفة المشقوقة ولوقف النزيف الشريانى وكذلك وجد بالفسطاط كثير من المجسات المعدنية ويعتبر العرب أول من استعمل المجسات وكذلك مجموعة كبيرة من المباضع (المشارط) منها الطويل

والقصير وحاد الطرف أو غير حادة وكذلك مجموعة من خافض اللسان والملاقط والجفوت المختلفة الأشكال والأحجام لوضع المواد الكاوية على البواسير وللهاة المتلهبة ، ومن الأدوات الطبية المكتشفة بالفسطاط والمحفوظة فى متحف الفن الإسلامى والمتحف القبطى ومجموعة الدكتور هنرى عوض الخاصة :

١ ـ مكواة زيتونية يكون بها الفالج والصادع وخلع الورك .

٢ ـ مكواة ذات السفودين يكوى بها المفصل فى حالة الخلع والشلل .

٣ ـ مكواة آسية طرفها يشبه ورق الآس يكوى بها الشعر الزائد فى العين .

٤ ـ مكواة مساوية يكوى بها فى حالة وجع الظهر فى ثلاثة صفوف فى كل صف ثلاثة كيات .

٥ ـ مكواة مجوفة طرفها أنبوبى دقيق الجدار والطرف الآخر مصمت كالمرود .

٦ ـ مكواة دائرية يكوى بها فوق الحدبة الباردة .

٧ ـ مبضع حاد الطرفين لشق الجلد فوق الشرايين لربطها .

٨ ـ مبضع نشيل .

٩ ـ مبضع يشبه الحربة .

١٠ ـ مبضع اللوزة معقوف الطرف وهو حاد من جهة غير حاد من الجهة الأخرى .

١١ ـ مبضع قصير نصله مستدير لشق الأورام والتجمعات الصديدية والخراريج .

١٢ ـ مبضع معقوف الطرف أحد أطرافه حاد والطرف الآخر غير حاد يشق به على البواسير .

١٣ ـ سكين عريض .

١٤ ـ مبضع مثلث الشكل لطيف يستعمل فى جراحات العين .

١٥ ـ مبضع لطيف حاد من جهة يستعمل فى جراحات العين .

١٦ ـ جفت لإستخراج المواد الغريبة الساقطة فى الأذن .

١٧ ـ منقاش وهو جفت ذو أسنان لإزالة التآليل .

١٨ ـ جفت وله حابس لوقف النزيف .

١٩ ـ جفت ينتهى طرفه بدائرتين يستعمل لإزالة بقايا العظام من الكسور .

٢٠ ـ جفت لطيف لإزالة الشعر الزائد من العين .

٢١ ـ جفت لطيف ومعه مرود لإزالة المواد الغريبة الساقطة فى العين .

٢٢ ـ أنبوبة النملة وهى من الحديد جزؤها الأعلى مصمت توضع على النملة وتشد عليها حتى تقطع من جذورها .

٢٣ ـ قصبتان يشد بهما على الجلد الزائد فى حالة إسترخاء الجفن فيسقط بعد أيام .

٢٤ ـ ملاعق مختلفة الأشكال والأحجام لوضع المواد الكاوية على اللهاة والنواسير .

٢٥ ـ مدس وهو آلة كالمرود ينتهى بمعلقة حادة تدخل فى الأورام لمعرفة أنواعها .

٢٦ ـ نوع من المقصات يسمى المقراض .

٢٧ ـ سنارة ذات ثلاث شعب لتشمير الجلد فى العمليات الجراحية .

٢٨ ـ مجارد من الحديد طرفها كالمبرد لجرد العظام .

٢٩ ـ خافض اللسان لكبسه فى عمليات استئصال اللوزتين .

٣٠ ـ آلة لحفظ الصفاق من حديد تشبه الملعقة أحد الطرفين عريض والآخر ضيق توضع لحفظ الأنسجة أثناء العمليات الجراحية حتى لا يغوص فيها المشرط .

٣١ ـ عتلات مختلفة الأحجام لإزالة وقلع بقايا الضروس المكسورة .

٣٢ ـ موسعات لتوسيع مجرى البول وللنواسير .

٣٣ ـ بريد وهو كالمرود لجس النواسير وسبرغورها .

٣٤ ـ سنارة لقلع بقايا الأسنان .

٣٥ ـ آلة كالمرود وطرفها معقوف كالسنارة لإزالة الأجسام الغريبة من الحلق كالعظام أو قطع اللحم .

٣٦ ـ ملعقة كحت لطيفة تستعمل فى عمليات العين .

٣٧ ـ مثقب يصلح لثقب العظام .

٣٨ ـ آلة لكحت جفن العين من الداخل فى حالات الرمد الحبيبى .

٣٩ ـ أنبوبة مجوفة طرفها مبرى على هيئة القلم لبزل الماء من البطن .

٤٠ ـ أنبوبة نحاسية لإخراج الديدان والصديد من الأذن أسفلها ضيق وأعلاها واسع يدخل الطرف الضيق فى الأذن ثم يمص مصاً قوياً ليخرج ما فيها .

٤١ ـ إبرة مستقيمة لخياطة الجروح .
٤٢ ـ إبرة مستديرة لخياطة الجروح .
٤٣ ـ مقطع لطيف يقطع به العظم المكسور .
٤٤ ـ مقطع عريض يقطع به العظم .
٤٥ ـ مقطع آخر لقطع العظم نهايته على شكل طائر [١] .

* أسواق الفسطاط

ولكى تكتمل لنا الفسطاط كما كانت لابد لنا وأن نزور أسواقها والتى مثلت الحركة الاقتصادية بالمدينة فى أزهى عصور إزدهارها . ولابد لنا أن نزيل لبسا شاع بين الكثيرين ، وهو أن الأسواق فى مدن العالم الإسلامى كانت للتجارة فقط ، هذا اللبس ناتج عن بيع السلع الصناعية فى أماكن إنتاجها ، فقد كانت الأسواق مواقع إنتاجية وتجارية فى نفس الوقت ، بل إختلطت حوانيت الصناعة وحوانيت التجارة داخل المدينة ، وعندما دخل المنتج الحديث المعاصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين من أوربا إلى العالم الإسلامى إنهار المنتجالمقابل اليدوى فى مدن العالم الإسلامى نتيجه لكثافة المنتج الغربى ورخص سعره إذن فقد كانت مدننا مدنا صناعية ، وهى نقطة لو ركزنا قليلاً لوجدنها على سبيل المثال

---

(١) د . هنرى أمين عوض ، لمحة عن الجراحة فى فجر الإسلام بمصر ، من ص ٢٧٦ : ٢٨٢ ، بحث ضمن أعمال المؤتمر العالمى الثانى عن الطب الإسلامى ، حـ ٣ ، الكويت ١٩٨٢ م .

تمثلت فى الفسطاط فى مطابخ السكر السابق ذكرها على سبيل المثال لاالحصر . بل قدمت لنا الوثائق أوصاف عدد من المنشآت الصناعية بالفسطاط منها على سبيل المثال :

وثيقة لمعصرة زيت حار وحلو ، جاء فيها وصف تفصيلى لمبنى المعصرة ، والأدوات التى كانت تستخدم فى عصر بذور الزيت ، وحددت الوثيقة موقع المعصرة بالفسطاط أو مصر كما كانت تعرف آنذاك تجاه المدرسة الكوبكية . وهذه الوثيقة مؤرخة بسنة ٦٢٤ هـ [١] وتبقى بالفسطاط مصبغة أثرية وهى منشأة صناعية فريدة .

والآن آن لنا أن نتجول فى أسواق الفسطاط :

* سوق القناديل

امتازت هذه السوق بالإزدهار فى العصر الفاطمى لقربها من جامع عمرو بن العاص ، وكان يقع على الجانب الشمالى لمسجد عمرو بن العاص ، وبيعت فيه كافة ألوان السلع والمنتجات والأصناف النادرة ، والبضائع والتحف ، وكان يزخر بالتجار المصريين والقادمين من البلدان الإسلامية ، وكان يباع فيه أوانى وأوعية بلورية فى غاية الجمال ، وكانت تصنع فى مصر ومنها ما يرد من بلاد المغرب ، وكان المصريون يأتون بالبلور من مناطق بنواحى بحر القلزم [٢] كما بيع فيه أنياب الفيل التى

---

(١) أحمد محمد أحمد ، المنشآت الصناعية فى العصر المملوكى ، ص ٣٠ رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة سوهاج ، ١٩٨٥ .

(٢) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق ، ص ١١٠ .
د . ممدوح عبد الرحمن الريطى ، أسواق الفسطاط والقاهرة فى العصر الفاطمى ، ص ٢١ ، رسالة دكتوراة بكلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٩٢ .

قدم بها التجار من زنجبار . فضلاً عن جلود الأبقار التى وردت من الحبشة وهى تشبه جلد النمور ، وصنع منها الصناع المصريون النعال والأحذية [١].

* سوق الرقيق

كان يطلق عليه سوق دار البركة ، وهى أول سوق نشأت بالفسطاط على أيدى العرب الفاتحين لمصر [٢]واستمرت تعمل لعرض الرقيق وشاهدها ابن عبد الحكم ، وكان يعرض بها الرقيق المجلوب من بلاد النوبة والسودان وأرمينيا وبلاد الروم وجزر البحر المتوسط ، وكان يأتى به إلى أسواق مصر التجار اليهود الذين اشتهروا بتجارة الرقيق ، وكانت هذه السوق تقع أمام دار أحمد بن المدبر عامل خراج مصر زمن الخليفة المتوكل العباسى ، وظلت عامرة ، وأحدث بها أحمد بن طولون توسعات سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م [٣]وأدخل فى السوق دار أحمد بن المدبر .

* سوق بربر

سمى هذا السوق بهذا الاسم نسبة إلى قوم من بلاد النوبة قدموا إلى مدينة الفسطاط وكان معظم تجارة من النوبة وبلدان افريقية ، وهو يقع فى آخر سوق القناديل ، وعرضت فيه بضائع ومنتجات النوبة ، وأيضا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١ .
(٢) السيوطى ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، حـ ١ ، ص ١٣٤ .
(٣) البلوى ، سيرة أحمد بن طولون ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

السلع القادمة من المغرب ومنها ريش النعام وجلود الحيوانات الملونة ، وكان يتبع موقع هذا السوق خطة قبيلة غفار [١].

* سوق الصرف

تقع بجوار مسجد عمرو بن العاص ، وتمتعت بمركز تجارى مرموق بسبب نشاطها ، الذى أدى إلى رواج المعاملات المالية والتجارية بالأسواق التجارية بالفسطاط ، وكان الصيارفة بهذه السوق من أهل الذمة وخاصة اليهود ، وابتعد المسلمون عن هذه المعاملات خوفا من الوقوع فى براثن الربا الذى حرمه الإسلام ، الأمر الذى جعل اليهود ينفردون بمثل هذه العمليات مما زاد ثراءهم زيادة فاحشة ، وكان لهم وكلاء فى أسواق المدن الإسلامية الكبرى ، والثغور يتولون عمليات الصرافة نيابة عنهم [٢] وكانت تقع بهذه السوق رحبة الصيارفة بالجانب الذى يجاور جامع عمرو بن العاص من هذه السوق ، وكان يشترط فى الصراف أن يكون عارفا بأحكام الشرع الإسلامى ليتجنب الوقوع فى المحظور ، كان الصيارفة يقومون بتبديل العملات الأجنبية بالمصرية أو العكس أو يفكون الدنانير بدراهم فى نظير فائدة تعود عليهم ، وكانوا يكشفون الزيوف والنقص فى وزن الدنانير بالموازين ، ويحررون السفاتج[٣] وبين التجار عند عقد الصفقات التجارية ، وكان التجار

---

(١) ابن دقماق ، مصدر سابق ، حـ ٤ ، ص ٣٢ .
ممدوح الريطى ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) المقريزى ، الخطط ، حـ ٢ ، ص ٣٤٠ .
(٣) السفاتج : كانت وسيلة من وسائل المعاملات المالية فى أسواق الفسطاط ، لكنها كانت محدودة خلال القرنين الأول والثانى الهجريين ثم عم إستخدامها فى الدولة الإسلامية خلال القرنين الثالث والرابع ، وذلك نتيجة لنشاط التجارة وازدياد المعاملات المالية ، =

يأخذون رقاعا منهم بما لديهم من أموال ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه عليهم . وهو ما أكدته أوراق البردى العربية التى كشفت عن أسماء العديد من الصيارفة اليهود والنصارى بالفسطاط [١].

* سوق الوراقين

إشتهرت بتخصصها فى تجارة الورق ، حيث يذكر ابن عبد الحكم أن العرب كانوا يختطون فى الفسطاط بجوار أصحاب القراطيس الدور والسكن ، وكان بالفسطاط مطابخ للورق أكبر من الحموى والبغدادى ، وكان غاليا فى الثمن [٢]ويمدنا ابن زولاق بصورة صادقة عن نشاط سوق الوراقين بالفسطاط فى ذلك العهد ، وما كان يدور فيها من المناظرات والمساجلات العلمية والأدبية ، فضلا عن مزاولة الوراقين لعملهم فى نسخ المخطوطات وبيع الأقلام والورق وأدوات الكتابة اللازمة للمؤلفين والأدباء [٣]ومن الوراقين بالفسطاط الشاعر ابن أبى الجوع وكان ينسخ

= وصعوبة حمل المبالغ الكبيرة من بلد إلى آخر ، لذلك لجأ التجار إلى استعمال السفاتج وهى رقاع يكتبها التجار أو الصيارفة أو المشتغلين بالأعمال المالية والتجارية بقيمة المبالغ التى يأخذونها ، وتكون قابلة للصرف فى أى بلد لأى من عملائهم ، وكانوا فى هذا يقومون بدور البنوك ، فكان التجار يأخذون رقاعاً منهم بما لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه عليهم ، كما كان الولاة يرسلون مازاد من دخل ولاياتهم إلى مقر الخلافة فى بغداد بسفاتج ففى سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨ م أرسل والى مصر سفاتج بمائة وسبع وأربعين ألف دينار . ابن مسكوية ، تجارب الأمم ، حـ ١ ، ص ١٤٦ حورية حسن ، مرجع سابق، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(١) جروعمان، أوراق البردى العربية ، حـ ٦ ، ص ١٨١ .

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، حـ ٢ ، ص ٦٥ .

(٣) ابن زولاق ، فضائل مصر وأخبارها ، ص ٣٨ ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تاريخ رقم ٣٥٩١ .

كل خمسين ورقة بدينار . وكان ذلك فى زمن العزيز بالله ، وابنه الحاكم بأمر الله .

* سوق الزياتين

كانت هذه السوق تختص ببيع مختلف أنواع الزيوت التى يحتاجها أهل المدينة ، وقد سبق وأن ذكرنا أنه عثر على وثيقة تصف بالتفصيل إحدى معاصر الزيوت بالمدينة .

* سوق الخلعيين

وهو من أسواق الفسطاط المتخصصة فى بيع الملابس المستعملة ، وهو يشبه سوق دار الأنماط القديمة بالمدينة ، وله كثير من الزبائن والرواد وربما تخصص فى عرض الخلع التى كان يهديها الخلفاء إلى الأهالى لإستمالة قلوبهم إلى الحكم الفاطمى [1] .

* سوق الراجين

تقع بجوار سقيفة القطانين وله علاقة وثيقة بالقطانين الذين يعرضون صناعاتهم من الملابس القطنية بالسوق ، ولهذا السوق شهرته بالفسطاط فى تجارة الملابس ، حيث كان يوجد بالفسطاط مخازن كبيرة للقطن ، خلال القرن الثالث الهجرى ، والتى صنعت منها القمصان التى كانت تخلط بالكتان والصوف والحرير[2] كما صنعت عمائم من القطن والكتان

---

(١) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص ١٢ .
ممدوح الريطى ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .
(٢) جروهمان ، أوراق البردى العربية ، حـ ٦ ، ص ١٤٠ ، ٢٨٠ .

بالفسطاط ويبدو من كلام المؤرخين والوثائق أن المنسوجات القطنية كانت قليلة بمصر ، وكانت تخلط بالحرير أو الكتان .

❁ سوق الخشابين

إزدهرت المصنوعات الخشبية بالفسطاط ، وإزدهرت بها أيضا تجارة الأخشاب اللازمة لبناء السفن وأدواتها ، كما كان بها حوانيت النجارين الذين يصنعون الأدوات الخشبية لأهالى الفسطاط [١] وجلب الخشب إلى الفسطاط من بلاد الصعيد ، ففى بردية يرجع تاريخها إلى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩١ م يذكر أحد التجار إلى وكيلة مخاطبا بقوله له « وصل بقية الخشب الذى بالأقصر » [٢] كما عرض بها بعض المصنوعات الخشبية اللازمة للمساجد مثل المنابر والشبابيك والأبواب التى صنعت من أخشاب الساج التى وردت من بلاد الهند .

ومن أطرف أسواق الفسطاط سوق نجارى المغارف والتى كان يصنع بها أدوات المطبخ الخشبية ومنها المغارف .

❁ سوق السماكين

تقع السوق داخل المدينة ما بين سويقة المغاربة ومربعة الفاكهنين ، ولها عدة مسالك تؤدى إليها ، ويباع فى هذه السوق الأسماك الطازجة والمملحة ، وكانت تصلها أسماك البحر المالح فى فصل الشتاء ، وتجهز فيها وترسل إلى القاهرة [٣] .

---

(١) المقريزى ، الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣٥ .
(٢) جروهمان ، أوراق البردى العربية ، حـ ٦ ص ٥٨ .
(٣) ممدوح الريطى ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

* سوق القصبة

يمتد هذا السوق من منطقة العسكر إلى جامع ابن طولون ، وسمى بسوق العسكر ، ثم اعتبر من جملة أسواق الفسطاط عندما إندمجت هذه الخطط مع خطط مدينة الفسطاط فى نهاية القرن الثالث الهجرى[1] واشتهرت هذه السوق بالباعة الجائلين الذين كانوا يتراصون فى صفوف منتظمة على جانبى الطريق ، وكانت هذه المسافة كبيرة إلى حد ما ، لدرجة أن الباعة من أصحاب الحمص المسلوق بلغ عددهم حوالى ثلثمائة وتسعين بائعا ، وأمام كل منهم قدراً مملوءاً بالحمص [2]، أضف ذلك مجموعة الباعة للسلع الأخرى الذين يضعون معروضاتهم على قفصيات أو حوامل خشبية ، وأطلق عليهم أصحاب المقاعد [3]فضلاً عن الحوانيت التى تبيع مختلف السلع والأصناف بهذه السوق ،

---

(١) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٢٧٢ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، حـ ١ ، ص ٣٣١ .

(٣) إستقر وضع الباعة الجائلين أو أرباب المقاعد فى أسواق المدن الإسلامية طبقا للحق الذى قرره لهم فقهاء المسلمين ، وهو حق الإختصاص ، والذى هو عبارة عما يختص مستحقة الانتفاع به ، ولا يملك أحد مزاحمته فيه ، وهو غير قابل للشمول ، والمفاوضات ، وتدخل تحت ذلك صور متعددة منها : مرافق الأسواق المتسعة التى يجوز البيع والشراء فيها كالدكالين المباحة ونحوها ، فالسباق إليها حق بها . . » ويقول ابن تيمية فى الفتاوى « أنه يجوز الإرتفاق بما بين العامر من الشوارع ، والرحاب الواسعة ، بالعقود للبيع والشراء ، فإن سبق إليه أحق به ، لقوله صلى الله عليه وسلم « منى مناخ من سبق » وله أن يظلل بما لا يضر المارة » خالد عزب ، فقه العمارة الإسلامية ، ص ١٠٣ . دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٩٧ .

من جملة الأسواق العامة التى لا تختص ببيع سلعة واحدة ويتضح من ذكر هذه الرواية أن رواد السوق كانوا على درجة كبيرة حتى أنهم يستهلكون هذه الكميات من طعام غير أساسى ، ولكى نغادر الفسطاط فسوف نخرج منها من حيث دخلناها ، فقد دخلناها زائرين فى رحلة عبر الزمان والمكان من أبوابها والمؤرخون ذكروا أن بالفسطاط أبوابا شيدت مع تشييد سور صلاح الدين الذى يحصنها ويحميها ضد أعدائها ، وهذه الأبواب هى :

* باب مصر

هذا الباب بناه بهاء الدين قراقوش من دخل مصر الفسطاط إلى مدينة مصر ، من الطريق التى تعرف بالمراغة بالقرب من السيدة زينب بجوار كوم المشانيق ، وباب مصر كان بخط الحمراء القصوى ، وكان به برجان يمنة ويسره بعتبه سفلى صواناً وقوس معقود عليه ، ودفتين يغلقان عليه ، وكان يسلك منه إلى أربعة طرق . وهى الطريق إلى القاهرة ، وعلى يمنته إلى الفواخير وعلى يسرته إلى البحر وإلى داخل المدينة [1] .

وهدم هذا الباب فى العصر المملوكى ، ولم يبقى له أثره .

* باب الصفا

كان هذا الباب الباب الرئيسى الذى يؤدى إلى مدينة مصر الفسطاط وهى فى كمالها ، ومنه تخرج القوافل والعساكر ، وموضعه بالقرب من

---

(١) ابن دقماق ، حـ ٤ ، ص ٢٧ .
المقريزى ، الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧ .

كوم الجارح ، وكان بابا كبيراً ببرجين متقابلين يعلوهما عقد كبير ، وهو بعتبة كبيرة سفل صوانا ، وكان بجواره ساباط يعلوه مسجد معلق . هدم باب الصفا فى عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ/ ٦٧٦ هـ ـ ١٢٦٠ / ١٢٢٧م) على يد سيف الدين بن سدار وإلى الفسطاط ، وهذا الهدم يعكس إنتهاء الخطر الحربى الذى من أجله شيد سور الفسطاط وسمى هذا الباب بهذا الاسم لوقوعه على رأس درب الصفا ، ودرب الصفا هو امتداد الشارع الأعظم ، وهو الطريق الذى يربط بين القاهرة والفسطاط ، والذى يبدأ من باب زويلة فى الشمال ويمتد فى الجنوب الغربى حتى مشهد السيدة نفيسة (١) .

* باب الساحل :

هو يقرب الكبارة وهو تل كبير كان يقع شرق مذبح السيدة زينب ، وكان يقال له كوم الكبارة وكوم المشانيق وعرف بالمشانيق لأنه كان قبل أن يعمر يشنق عليه أرباب الجرائم ، وكان هذا الباب يفضى بسالكه إلى ساحل النيل القديم ، وكان يقع شرق باب مصر فيما بين سوق المعاريج ودار التفاح . ولما بنى الجامع الجديد الناصرى جعل الحد الشرقى له فى محل السور الذى كان فيه هذا الباب (٢) .

---

(١) ابن دقماق ، مرجع سابق ، حـ ٤ ، ص ٢٨ .
المقريزى ، الخطط ، حـ ١ ، ص ٣٤٧ .
(٢) يوسف أحمد ، الفسطاط ، ص ٥٦ .

❁ باب القنطرة

هذا الباب فى قبلى أى جنوب مدينة مصر عرف بقنطرة بنى وائل التى كانت هناك ، وهو من بناء بهاء الدين قراقوش ، وكان من يخرج منه يجد على يساره بركة شطا [1].

(١) يوسف أحمد ، الفسطاط ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

obeikandl.com